الآداب

مرآة الطفولة الادبية

حميد حميد

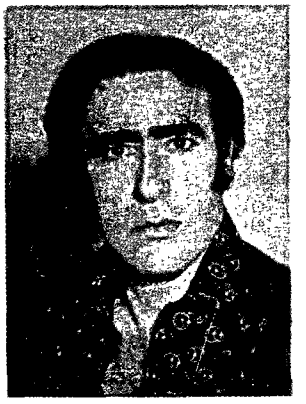

البداية :

نحن و« الآداب » علاقة قديمة . ظاهرة تشبه القمر والبحر بيننا المدّ والجزر . نحن الذين نمونا على شاطئها، تعلّمنا السباحة والغوص ثم ابحرنا نحو آفاق لا تحد .

وانا اتذكر علاقتي السرية بمجلة « الآداب » تلفحني الطفولة الادبية داخل مراهقة العمر الجامح . بالاندفاع المماثل نحو امرأة خضراء ، هكذا كنت اندفع لاكتب في الآداب . وكما تكون امرأة جميلة ، ذكية ،واثقة، تطمح لابتسامة من عينيها ، هكذا « الآداب » تغامر باتجاهها وحدها لتؤكد ذاتك داخلها .

« من بين النساء جميعا اخترتك ايتها المغرورة كوعل » . اول مجلة من بين المجلات الادبية اخترت ان اكتب لها كانت الآداب .

واول مجلة صدّتني خائبا كانت الآداب .

كنت في العشرين . في عمر الرسائل الوردية وعمر المهور التي تعدو بسرعة ولكنها تتوه في الاودية . فيما بعد اكتشفت انني كتبت رسالة خاصة بعنوان « انا وانت » وكنت الرسالة لفتاة لا تحبني .

اضربت عن شراء « الآداب » هذه المعشوقة العاقة لمدة شهرين ، لكني لم أقل شيئا لاصدقائي عن الاحباط الاول .

الدرس:

احباط النشر الاول ايقظني . لقد كسرت«الآداب» غروري ومراهقتي الادبية . لكنها علمتني كيف اندفع نحو القراءة النهمة . في مطالع الستينات فازت رواية « المهزومون » لهاني الراهب بجائزة الآداب . قرأت الرواية فأدهشتني . فكرت ان اكتب شيئا عنها . كنت ما ازال تحت وقع الصدمة الاولى وكان قد مرّ على ذلك اكثر من عامين .

اصراري على النشر في « الآداب » كان مختزنا كماء تحت صخرة . كتبت نقدا حول « المهزومون » قرأته زوجتي. سخرت مني : هكذا . ضربة واحدة نحو«الآداب» كم انت مغرور !

ـ لماذا ؟

ـ الآداب للكتاب الكبار .

ـ ولكنهم ابتدأوا صغارا !

يومذاك كنا في « القدموس » البلدة الجبليه التي تلتحف صيفا بالضباب ، وشتاء بالثلج . هناك كنت اقرأ واصطاد واداوي طفلتي المريضة ، المحتاجة الى الهواء النقي .

كنت مشتركا « بالآداب » يرسلها لي صاحب مكتبة في طرطوس . عندما وصلتني في اول الشهر. فتحتها بتوجس .

قرأت الفهرس : « رأيان في المهزومون » . الاسم الثاني بعد اسم كاتب وناقد مشهور كان اسمي . حملت المجلة طائرا باتجاه البيت : خذي سيدتي . منذ الآن أصبحت زوجة كاتب كبير (قد الدنيا) .

تناولت المجلة وقرأت . ابتسمت . خبأت فرحها الابيض وقالت نكاية بفروري : ومع ذلك لن تكون « همنجواي » !

القصة الاولى :

اعطاني النشر الاول في « الآداب » احساسا بالزهو . الصديقة التي تأبّت ، طاردتها حتى صارت حبيبة . اول قصة نشرتها لي كانت «رجل بلا جدران » . قصة عن انسان ضائع في العالم يبحث عن نقطة استناد فلا يجدها ، سعدالله ونوس الكاتب المسرحي و « ابن البلد » الثقافي في طرطوس بعد قراءتها : أنا فرح لان «الآداب» بدأت تنشر لك ولكن . . .

ـ لكن ماذا يا سعد ؟

ـ القصة فيها مباشرة يا حيدر !

ـ مباشرة ! ماذا تعني ؟

ودخلنا في حوار نقدي كان سعد على حق فيه ، اما انا فكنت على حق بفرحي الخاص بالنشر .

في العدد الثاني وفي صفحة نقد العدد الماضي من « الآداب » نقد القصة الناقد المرحوم « وحيد النقاش » .

قال عنها انها قصة وجودية بعيدة عن واقعنا العربي ، معاناتها غريبة عن انساننا وهي محاولة لتقليد الادب الاوربي وانسانه المستلب والضائع .

العصر الذهبي :

مرحلة الستينات هي فترة نضج الادب العربي عموما ، وانبثاق هذا النضج بشكله الحديث والمعاصر .

في هذه المرحلة الخصبة والدينامية ، أرسى الادب العربي المعاصر في القصة والشعر اسسه . لم يكن ذلك التأسيس غيبيا ومفاجئا . كان نموا متراكما ، لكنه كان تحولا نوعيا ايضا . القصة الحديثة والشعر الحديث ، طلقا شكلهما التعبيري القديم ، وابتكرا شكلا تعبيريا جديدا يتسق ويواكب التطور الذي طرأ على الحياة العربية والانسان . نما ذلك مع نمو الثقافة العالمية والاكتشافات الجديدة في ميادين العلوم الانسانية ، كما كان تعبيرا عن الاحداث والهموم والصدمات والتحولات التاريخية التي بدأت تهز الوطن العربي بزلزال العصر في القرن العشرين .

في هذه المرحلة المتأججة شهدت « الآداب » كمجلة طليعية ، عصرها الذهبي . كانت منبرا مفتوحا للادب الطليعي على مستوى الوطن العربي . المجلات العربية كانت تلهث وراءها . تلك المجلات كانت تتأنق ، وتدفع مكافآت مغرية ، وتقلد ، وتبرز اسماء لامعة احيانا ، لكن «الآداب» التي لا تدفع الا النزر اليسير ، ولا تتأنق ، محتمية برسيد كتابها الطليعيين ، ظلت حصان الطليعة . .

اسئلة :

مرة واحدة في اوائل الستينات اقامت « الآداب » مسابقة للرواية ولم تكرر ذلك . ولكنها لم تعلن حتى لمرة واحدة عن مسابقة للشعر الحديث والقصة القصيرة .

ادباؤها الذين نموا على صفحاتها يسألون : هل اصبحت الآداب « غنية » بدار النشر فاغتنت عن الذين اغنوها ؟ ادباؤها العارفون يسألون بصراحة : لماذا كانت الآداب تطبع احيانا طبعات مختلفة تتسق وسياسة القطر العربي القادمة اليه ؟

لقد خاضت « الآداب » اكثر من معركة سياسية مع انظمة عربية ، ومنعت من الدخول لجرأتها ، وكان هذا رصيدا يدفعها في طريق التقدم . فلماذا تخلت الآداب الان عن هذه الروح الصدامية ـ المعارضة ؟

هل انحنت « الآداب » لرياح السموم الهابة على الوطن العربي من صحاري النفط والثكنات العسكرية ؟ .

حوار نقدي :

كما حلمت يوما ان أنشر للمرة الاولى في الآداب ، رغبت ان اصدر كتابا عن دار الآداب .

لاول مرة ترفض الآداب نشر قصة لي بعد النمو والطيران ، كان هذا في عام ٧٣ . القصة عنوانها « الجوع واللصوص والقتلة » . بعد عام من تقديم مجموعة للنشر اعتذرت دار الآداب لاسباب مادية .

من هنا انطلقت في حوار نقدي مع الاديب الدكتور سهيل ادريس صاحب الآداب . لم يكن حوارا ذاتيا ، ولا طلبا للنشر . فالقصة والمجموعة نشرتا ومكافأتي المادية عليهما كانت مجزية ومرضية . انما الحوار كان عن الحالة التي وصلت اليها « الآداب » المغرورة والمكتفية بدار نشرها التي تغطي الان المكتبة العربية .

بدأت حواري مع الدكتور سهيل ادريس : لماذا نفتقد في الآداب ادباءها الاوائل وهم الآن طليعة الادب العربي الحديث . هل تفسر ذلك بالعقوق ؟

ـ لا اعتقد . صار للعصافير اجنحة وهي الآن تحلق في سماوات اخرى . للمسألة وجه موضوعي . المجلات الاخرى تدفع مكافآت جيدة . الآداب تدفع قليلا . من حق اي اديب نما ونضج ان يأخذ هذه المسألة بعين الاعتبار . الآداب كانت تخسر كمجلة وما تزال . نعوض الخسارة من دار النشر .

ـ هل تحولت المجلة الى وسيلة تغطية لمنشورات الدار بعد ان كانت مجلة الطليعة الادبية على مستوى الوطن العربي ؟

– لا ليست وسيلة بالمعنى الذرائعي ، انما الاهتمام صار منصبّا على دار النشر . وبالنسبة للادباء المشهورين الذين ابتعدوا عن المجلة ، هؤلاء نشرنا لهم كتبهم . علينا ان نهتمّ بالاجيال الجديدة في المجلة . وكما حنا عليكم عش « الآداب » حتى صرتم طيورا مفردة لا بد ان يحنو على العصافير الصغيرة الجديدة . هذه سنّة التطور والاجيال .

– دكتور : بصراحة ولا احراج . الآداب كانت سبّاقة في نشر الادب الذي يخترق « التابو » العربي المحرّم في السياسة والدين والجنس في عصرها الذهبي . الآن تتوجسون على ما يبدو من هذا التابو . نحن نسأل: ما قيمة اي ادب مدجّن غير تحريضي وغير هجومي لا يقتحم هذه المحرمات المحمية من الانظمة والايديولوجيا الرجعية السائدة ؟

– ابدا . انا معك . نحن لا نتوجس والآداب مجلة ودارا تاريخها حافل بنشر مثل هذا الادب . انما المسألة تتعلق بالفن . وعلينا الا ننسى الرقابة التي تحذف التحريضي والهجومي . ان اية قصة او رواية او قصيدة مهما كانت درجة هجوميتها واقتحاميتها اذا توفرت لها الشروط الفنية لن نتوانى عن نشرها . انا كأديب تعنيني اساسا القيمة الفنية وما عدا ذلك لا حدود ولا حواجز . وسيّان عندي سمح لهذا العمل الفني في قطر عربي او اكثر ام لم يسمح . رصيد الآداب من كتابها . وكتابنا هم الطليعة العربية الذين نفاخر بهم . وبهؤلاء نمونا وكبرنا كما نموا هم وكبروا بمجلتنا ودارنا التي هي مجلتهم ودارهم . بامكانك ان تتأكد من ذلك الآن ومستقبلا .

هذا الحوار جرى والآداب على عتبة احتفالها « بيوبيلها » الفضي ، شعرت من خلاله وكأن الدكتور سهيل ادريس على ابواب امتحان نحو قفزة جديدة وجريئة ، ستفتح للمجلة ولدار النشر آفاقا اكثر رحابة واكثر عمقا وحميمية مع الادب العربي الطليعي .

مكتبة النوري

دمشق – تجاه البريد العام

وكيلة منشورات دار الآداب وكبرى دور النشر اللبنانية والعربية في القطر السوري .

مع الآداب

« حين اتحدث عن « الآداب » وصاحبها فلن اتحدث عن موقفهما القومي الوطني العروبي . هذا ما اتركه للآخرين لانهم سيتحدثون عنه طويلا نسبة لما حملته « الآداب » من معارك في سبيل هموم الوطن العربي وقضاياه .

« سأتحدث عن دور « الآداب » في حياتي انا .

« الآداب » بالنسبة لي ليست مجلة شهرية تعنى بشؤون الفكر والادب فحسب .

ليست « الآداب » مجموعة اوراق اقرأ محتواها الفكري الوطني العروبي النقي .

« الآداب » بالنسبة لي هي العلاقة البشرية الرفيعة باسمى معانيها الانسانية .

حين اتذكر الماضي ، اتذكر « الآداب » .

اول الصبا ، واول الشباب ، التقيت بـ « الآداب » .

الفرق بين هذا وذاك ، ان الاول ذهب ولم يبق منه غير الذكريات بحلاوتها ومراراتها .

اما « الآداب » فهي تبقى الدائمة . لا ازال انتظر صدور اعدادها تماما كما كنت افعل ، ولهفتي اليها هي .. هي . لا ازال انتظر ما يكتب فيها ، ما يكتب عنها .

انا لا احب الحديث عن الماضي لانه مضى ويؤلمني ان تمضي الاشياء . اما الحديث عن « الآداب » فلم يمض ، انه مستمر ، وهكذا فالماضي لم يفلت مني هنا ، انه مستمر وينمو ويكبر ويتطور .

علاقتي بالآداب تزداد تعمقا واصالة وتجذرا .

انها ذكريات موجودة معي دائما مستمرة الى الحاضر

« علاقتي بـ (الآداب) لم تر عقوقا او نفورا او خذلانا ، انها الصديق الدائم الذي اجده في الملمات ، وفي الافراح .